الموضوع: التجربة الجمالية عند جورج سانتيانا

The aesthetic experience according to George Santayana

1 ـالدكتور صلعة محمَّد جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس.salaadjihad@yahoo.com

2 ـالدكتور بن طولة محمَّد جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس.Bentoulamohammed@gmail.com

تاريخ الارسال: 2023-05-01	تاريخ القبول: 2023-05-15	تاريخ النشر2023-06-01	المؤلف المرسل: صلعة محمد- بن طولة محمد

ملخص:

إن تذوق الفن قيمة نظفيها عليه ، وليس للفن قواعد يتقيد بها ولا يخضع لحكم عقلي ولا لحكم الواقع فالإحساس بالفن هو تذوق مباشر وهو نشوة فردية ذاتية هذا هو الحكم الجمالي **لسانتيانا** الذي لا غاية له سوى المتعة المباشرة لتحصيل الخبرة الجمالية التي تستقل عن القيم الأخلاقية و الذاتية وتجمع بين النقد والإدراك ولا تتجاوز في حدودها الذات الإنسانية وكل تجاوز فهو من قبيل التفاهة.

ولهذا تستحق التجربة الجمالية **لجورج سانتيانا** الإشادة بمزاياها لأنها استطاعت أن تضع لها مكانا في الفكر الإنساني المعاصر و أن تصمد أمام فكر تراكمي ظل عسيرا على التحديد بما ينطوي عليه من مفاهيم متغايرة بحسب الثقافات والأزمنة ، لقد اختار سانتيانا إشكالية الإحساس بالجمال و هي في رأينا المدخل الأساسي لفلسفة الجمال التي تحدد من خلالها الكيفية التي تدرك بها الشيء الجميل لتفتح من خلالها المجال لطرح كل الإشكاليات التي من شأنها تستوفي الإلمام بفلسفة الجمال إلى حد ما.

الكلمات المفتاحية: الفن، الجمال، الإحساس، الحكم الجمالي، التجربة الجمالية.

Abstract

Tasting art is a value that we add to it. Art has no rules that it adheres to and is not governed by a mental judgment or reality. Sensing art is a direct taste and a subjective individual euphoria. This is Santayana's aesthetic judgment, which has no purpose other than the immediate pleasure of collecting aesthetic experience that is independent of moral and subjective values, combines criticism and perception, and does not exceed the limits of the human self, as any transgression is insignificance. George Santayana's aesthetic experience is therefore commendable because it has been able to place itself in contemporary human thought and withstand cumulative thinking that has remained difficult with different concepts depending on cultures and times. Santayana has chosen the problematic sense of beauty, which, in our view, is the basic entry point for the philosophy of beauty by which you

determine how you realize the beautiful thing to open up the way for all the problems that would address the philosophy of beauty to a certain extent.

Keywords: art, beauty, sensation, aesthetic judgment, aesthetic experience

مقدمة:

لقد أشارت الجمالية في أول ظهورها إلى شيء جديد هو محبة الجمال إضافة إلى قناعة جديدة بأهمية الجمال و دوره القيمي مقارنة مع قيم أخرى تتعدد مظاهر الجمالية و تتنوع و لكنها تهدف غلى غاية في الحياة و كفكرة لمعالجة خلل ما أو كنظرة للفن من اجل الفن لا غير للتمتع والتذوق للفن والجمال عن طريق الاحساس، وعليه يكون " الاهتمام بفلسفة الجمال محور مهم في التفكير الإنساني باعتبار أن الإبداع و التجربة الجمالية ظاهرة اجتماعية للحضارة و مؤشرا عاما على رقيها لأن الجمال بعد من أبعاد المعنى ، الذي يؤول به العالم حولنا ذات قدرة جاذبة لأنها تخلق نشوة و قد توحي بقرار نفسي أو عقلي و كأن القيمة الجمالية تكمن في الموضوع الخارجي فالحساسية لتجربة الجمالية من الخصائص التي ينبغي أن يكتسبها كل من كان عضوا في المجتمع" (طالبي، مدخل الى عالم الفلسفة، 2006). وعليه "فالقيمة الجمالية كالقيمة الأخلاقية ليست قيمة نسبية، و لا تحمل قيمة الوساطة فهي غاية غير محدودة" (موسى، مقدمات في فلسفة القيم، 2012).

ومن هذا الأخير يبرز دور الإحساس في العملية الجمالية، فلا يمكن أن نتصور جمالا بدون عملية الإحساس، وذلك ما يجعلنا نطرح الاشكال التالي: الى أي مدى استطاع **سانتيانا** رائد فكرة الإحساس في التجربة الجمالية في القرن المعاصر ممارسة تجربة وفق رؤيته التي تبنى على فكرة الإحساس ؟

مفهوم الجمال:

الجمال في الفرنسية beauté وفي الانجليزية beauty أما الأصل اللاتيني bellus.

فالجمال عند الفلاسفة هو صفة تلحظ الأشياء، وتبعث في النفس سرورا ورضي، والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللطف، وهو احد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم، اعني الجمال، والحق، والخير. والجمال والقبح بالنسبة إلى الانفعال كالخير والشر بالنسبة إلى الفعل، والحق والباطل بالنسبة إلى العقل (صاليبا، المعجم الفلسفي، 1982).

غير إن ما يميل المرء إليه طبعا يكون جميلا طبعا، وما يميل إليه عقلا فهو جميل عقلا، والقبيح ما لو فعله العالم به اختيارا يستحق الذم عليه. والفرق بين الجمال والإجلال إن الجمال تناسب واعتدال يرضيان النفس، على حين إن الجلال هو ما جاوز حد الاعتدال من نواحي الفن والخلق والفكر. والعلم الذي يبحث في الجمال ومقاييسه ونظرياته يسمى بعلم الجمال (Esthétique) وهو باب من الفلسفة. (صاليبا، المعجم الفلسفي، 1982)

فهو إحدى القيم الثلاث التي ترد إليها الأحكام التقويمية وهذه القيم هي الحق والخير والجمال، يقول ابن سينا: "وجمال كل شيء وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له". فأول من وضع هذا الاصطلاح هو بومجارتن وهو مأخوذ من كلمة يونانية

aistheticos ومعناها: "الإدراك الخاص بشعور الجمال كما نراه في الطبيعة وآيات الفنون". وقد استخدمه كانط بمعنى الحساسية فيقال " الحساسية الترنسندنتالية". (وهبة، المعجم الفلسفي ، 2007)

فكلمة الجمال عامة وغامضة، يفسرها كل بما يراه ويهواه، ومن هنا قال بعض الفلاسفة: "إن الجمال فكرة غير قابلة للتعريف". وقال أناتول فرانس: "اعتقد أننا لن نعرف بالضبط أبدا لم كان الشيء جميلا". ذلك لان تعريف الجمال تعريفا يعم ويشمل جميع أنواعه ليس بالأمر السهل، وأقصى ما يمكن أن يقال: "إن الجمال يتصف به الشكل والمحتوى والفكر والمادة، وان كل قلب يلبي نداء الجميل"، فليس ثمة فرق كبير بين كوننا أمضينا وقتا جميلا في حفلة رائعة، أو أمضينا وقتا رائعا في حفلة جميلة، ولهذا فقد حاول فلاسفة الاستاطيقا إنقاذ مفهوم الجمال باقتراح انه أفضل مفهوم عام للقيمة الاستاطيقية. ومفاد الفكرة هو أن الجمال ينطبق على مختلف أنواع الأشياء، أكان من صنع الإنسان أو جزءا من الطبيعة، والحكم بجمال أي شيء هو أعلى صور الإطراء الاستاطيقي. فإذا كان علم الأخلاق هو يبحث في الخير، فان الاستاطيقا تبحث في الجميل، ولهذا يعرف الاكويني الجمال ويقر بأنه "ذاك الذي فعل فهمه ذاته يسر". (مغنية، مذاهب فلسفية، 2007)

مفهوم علم الجمال:

أما علم الجمال فهو علم يبحث في شروط الجمال، ومقاييسه، ونظرياته، وفي الذوق الفني، وفي أحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنية، وهو باب من الفلسفة، وله قسمان: قسم نظري عام، وقسم عملي خاص. أما القسم النظري العام، فيبحث في الصفات المشتركة بين الأشياء الجميلة التي تولد الشعور تحليلا نفسيا، ويفسر طبيعة الجمال تفسيرا فلسفيا، ويحدد الشروط التي يتميز بها الجميل من القبيح، فكما إن المنطق يحدد القوانين التي يعرف بها الصحيح من الفاسد، كذلك علم الجمال فهو يحدد القوانين التي بها يتميز الجميل من القبيح. (هوندرتش، دليل اوكسفورد، 1982)

وأما القسم العملي الخاص فيبحث في مختلف صور الفن وينتقد نماذجه المفردة، ويطلق على هذا القسم اسم النقد الفني، وهولا يقوم على الذوق وحده، بل يقوم على العقل أيضا، لان قيمة الأثر الفني لا تقاس بما يولده في النفس من الإحساس فحسب، بل تقاس بنسبته إلى الصور الغائية التي بتمثلها العقل. (صليبا، المعجم الفلسفي، 1982)

وعلم الجمال من العلوم الجزئية، لان موضوعه خاص، وهو علم قاعدي ومعياري، نسبة إلى المعيار والقاعدة حيث يقاس بقواعده الحكم على الإنتاج الفني. والعلوم المعيارية ثلاثة، الأول علم الجمال والثاني والثالث المنطق والأخلاق، والقاسم المشترك بين الثلاثة هو الأشياء (أي افعل هذا، اترك هذا). (صليبا، المعجم الفلسفي، 1982)

فهو علم يعد منذ زمن طويل احد الأقسام الرئيسية في الفلسفة مع المنطق والميتافيزيقا ونظرية المعرفة والأخلاق جنبا إلى جنب. لكن علينا إن نعترف مع ذلك بأنه لم يفز قط بذلك الاهتمام الموجه لهذه الفروع الأخرى. فكلمة "استطيقا" ذاتها لا يتجاوز عمرها القرن إلا بقليل، ورغم ذلك كان الكتاب السابقون يجعلون حديثهم عن نظرية الذوق أو نقد الذوق. ومحاورة "هبياس الكبير" لأفلاطون التي يحاول فيها السفسطائي هبياس دون جدوى أن يقدم لسقراط تعريفا مقنعا للجمال هي أقدم عمل باق في مجال الاستطيقا. ومنذ تلك الفترة تتابعت الكتابات في هذا الميدان. (مغنية، مذاهب فلسفية، 2007)

ويستمد علم الجمال موضوع دراسته من حقيقة واقعة هي أن الناس يحكمون دوما على الأشياء سواء كانت أشياء طبيعية أو من منتجات "الفنون الجميلة" أو غير ذلك من مصنوعات الإنسان، بأنها جميلة، أو جليلة، أو فاتنة، أو مثيرة للسخرية، يضاف إلى ذلك أنهم يحاولون أن يؤيدوا مثل هذه الأحكام ا وان يتشككوا فيها، وأنهم يشتبكون في الجدل بصددها. وإنما تنشأ المشكلات الفلسفية الخاصة بعلم الجمال عن التفكير في هذه المعلومات الأولية. (كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، 2005).

مفهوم الفن:

الفن في الفرنسية Art، وفي الانجليزية Art، وفي اللاتينية Ars. فالفن بالمعنى العام جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة جمالا كانت أو خيرا أو منفعة. فإذا كانت هذه الغاية تحقيق الجمال سمي الفن بالفن الجميل، وإذا كانت تحقيق الخير سمي الفن بفن الأخلاق، وإذا كانت تحقيق المنفعة سمي الفن بالصناعة. ومعنى ذلك أن الفن مقابل للعلم، لان العلم نظري، والفن عملي، ومضاد للطبيعة من حيث أن أفعالها لا تصدر عن رؤية وفكر. والفرق بين الفن والعلم أن غاية الفن تحصيل الجمال، على حين أن غاية العلم تحصيل الحقيقة، وإذا كانت أحكام الفن إنشائية، فان أحكام العلم خبرية أو وجودية. (كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، 2005)

أما الفن بالمعنى الخاص فيطلق على جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة الشعور بالجمال، ومن عادة العلماء أن يقسموها قسمين كبيرين، وهما: الفنون التشكيلية كالعمارة والتصوير والنقش، والفنون الإيقاعية كالشعر والموسيقى والرقص. والفرق بين الأولى والثانية أن جوهر الأولى هو المكان والسكون، على حين أن جوهر الثانية هو الزمان والحركة. وسواء أكان الفن تشكيلي لام إيقاعيا، فانه في كلا الحالتين لا يقتصر على محاكاة الطبيعة، بل يبدلها بما يضيفه إليها من اختراعات الخيال. (صليبا، المعجم الفلسفي، 1982)

وهو أيضا تعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعث وتأثيرات بواسطة الخطوات أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ (صليبيا، 1982)

مفهوم فلسفة الفن:

فلسفة الفن وهي التي يفترض فيها أحيانا أن الجمالي هو الشاغل الأساسي في الفن، بيد أن هذا الافتراض جدير ببعض معانيه ما لم يشتمل "الجمالي" على كل شيء يمكن تصوره ذا قيمة في الفن (بحيث يجعله مفهوما عقيما)، قد يحتاز الفن على قيم ليست جمالية وقد ننفر منه بسبب فسوقه أو زيفه السياسي، ولهذا نجد أن النزعات الجمالية تطرح مفهوما ضيقا في قيمة الفن دون الإذعان إلى رؤية ذرائعية تقر أن مفاد الفن هو أن يكون دوما وسيلة لغاية مفارقة له، يتوجب علينا أن نسلم بأن الأعمال الفنية تحتاز على عدد متنوع من القيم. (وهبة، المعجم الفلسفي، 2007)

فكثير من فلسفات الفن المعاصرة غير معنية بالفن الذي يبدو لكثيرين مفهوما عف عنه الزمن أو غير قابل للتفكر. فوجود سبب يتجاوز الظروف التاريخية يجعل من مسألة تماثل الموسيقى، الرسم، المعيار، الدراما، الروايات، الرقص، الأفلام، وأشياء غيرها في كونها فنا فهي تعتبر مسألة محل جدل، رغم انه لا ريب في أن محاولات تعريف الفن إنما تطرح ضمن تعبير علم الاستاطيقا الموجز. وان أكثر تعريف الفن إثارة أن " الفن تعبير عن عاطفة"، "الفن بوصفه شكلا ذا مغزى"، في حين أن البدائل الراهنة تتسم بكونها شاملة إلى حد كاف تخفق في أخبارنا عن أهمية الفن. (هوندرتش، دليل اوكسفورد، 1982).

رؤية جورج سانتيانا إلى فلسفة الجمال و الفن :

يرى جورج سانتيانا أن فلسفة الجمال ما هي إلا مجموعة من دراسات مختلطة بسبب الظروف التاريخية و الأدبية و أن خبرة الجمال ليست مستقلة عن غيرها من الخبرات العادية في الحياة (هوندرتش، دليل اوكسفورد، 1982)و ذلك لأنها كانت محل تداول علماء النفس و مؤرخو الفن و الفلاسفة و النقاد.

و للفن معنيين عند سانتيانا و هما مختلفين:

معنى عام: يجعل من الفن مجموعة العمليات الشعورية الفعالة التي يؤثر الإنسان عن طريقها على بيئته الطبيعية لكي يشكلها و يصوغها و يكيفها (هوندرتش، دليل اوكسفورد، 1982)

المعنى الثاني: و هو معنى خاص و يرى أن الفن مجرد استجابة للحاجة أو اللذة أو المتعة أي لذة الحواس و متعة الخيال و ذلك بغض النظر عن وجود الحقيقة و عدمها (بشيوة، اعلام الفن في الفكر الغربي، 2013)

يقول سانتيانا " ما دامت الفنون الجميلة في صميمها ظروف من الإنتاج يفترض فيها أن تجيء متضمنة لقيمة إستطبيقية ، فالفن هو متعة إستطبيقية أو لذة جمالية.

يرى سانتيانا أن القيم نوعان : جمالية أو أخلاقية .

فالقيم الجمالية أساسها النشوة و أما الأخلاقية فأساسها التفضيل (الربضي إ.، علم الجمال بين الفلسفة والابداع، 1990) إلا أنها تتسم بالسلبية و مهمتها اجتناب الآلام و محاربة الشر فالعالم الأخلاقي يبحث في ما يجب أن يكون و بالالتزام بقوانين حتى يتسنى للناس العيش في كنف السلم و الأمن .

كما أن التجربة الجمالية تمارس في الحرية و التمتع بينما تقترن الأخلاق بالنشاط الجاد و التكليف فهي صراع ضد الخطيئة و عليه فإن المجال الأخلاقي مقترن بالجدية و الحزم في حين اقترنت ممارسة الفن باللعب و النشاط الحر لا أهداف لها و لا ترجي منفعة إلا لتحقيق المتعة ، و يرى سانتيانا أن التجربة الجمالية في الفن لا تزدهر إلا في كنف الازدهار الحضاري و تحتضر في الأوقات الأزمة و التدهور. ويرى أن الفن تقتله الحاجة و ضروريات الحياة بينما يكون عامل لتوافق النفس مع الطبيعة.

فالفن يعبر عن الخبرة المعاشية من قبل الفرد الذي يعبر عن الخبرة المعاشية من قبل القرد الذي يعبر عن ذاته ليتحرر من العبودية التي تفرضها الطبيعة ليصل إلى درجة حرية الروح التي تصنع ما يلائم الإنسان و هي وقفة شعورية ممتعة ينظر بها الإنسان إلى خلاصة جهده الفكري و الفني.

فيتأمل الصورة الفنية الجميلة التي يصنعها و هنا يتحول هذا الشعور إلى نظام للقلب و الخيال ، يبلغ به الإشباع للذته و تساعده على الرقي في حياته.

التجربة الجمالية في الفكر الغربي المعاصر:

لقد أولت الفلسفة الغربية المعاصرة اهتماما كبيرا بالحقل الفني و الجمالي إلى جانب التطور العلمي و التقني الذي شهده القرن العشرون عرف ثورة في الفكر الجمالي شكلته الحركات و المذاهب النفسية بإشكالاتها و مقولاتها.

المفاهيم ضمن السياق التاريخي الذي شهد أزمات و حروب عالمية مروا بشتى أنواع الأنظمة التي انعكست بمخرجاتها المختلفة على الحفل الجمالي و مقاربته الفكرية و الفلسفية وقد اختلفت وجهت النظر لفلاسفة الجمال المعاصرين في تعريف الفن مما أخرى الفكر الجمالي لعديد النظريات و لعل المنهج التجريبي العلمي قد اثر بتطبيق الميادين العلمية المختلفة .قد جعل الفكر الجمالي يتأثر كغيره من العلوم الاجتماعية و الإنسانية فبداية من نظرية التطور لداروين و التي كان لها اثر كبير في تفسير المفاهيم بصورة اقل ما يقال عنها قطعية ابستمولوجية مع فكر سابق إذا كان الفن هو خلق أشكال ممتعة فالجمال هو الشعور الذي تثيره هذه الأشكال في النفس (عويضي ا.، مقدمة في علم الفن والجمال، 1996)، وعلم الجمال هو الذي يدرس و يبحث الظواهر الجمالية في الأعمال الفنية.

فالفن هو الموضوعات التي ينتجها المبدع أو الفنان والجمال هو قيمة لهذه الموضوعات وجاذبيتها.

– وإن كانت بداية البحث في فلسفة الجمال أو علم الجمال وتجربته من خلال التعبير عن مقاييسه وذوقه وإبداعه مع بداية القرن الثامن عشر مع "إسكندر مجارتن" Alexander Gottlieb Baumgarten (1714– 1762الذي أطلق اسم الاستطيقا أو علم جمال على الأبحاث التي تتناول منطق الخيال الفني والتي صار بموجبها علم الجمال مستقلا عن مجال المعرفة النظرية العقلية إلا أن التحولات المعرفية والعلمية التي عرفها القرن التاسع عشر حاول الفلاسفة والمفكرين تطبيق المناهج العلمية وظهرت محاولات تفسير الفن على ضوء علم الاجتماع وهو ما ذهب إليه الفيلسوف الفرنسي " رايبوليت تين" فقد حاول تفسير الفن بالرجوع إلى البيئة الاجتماعية كما ظهرت تطبيقات فيزيولوجية مع " جستاف تيودور" .

رأى بموجبها أن يقتصر البحث في الجمال على البحث في القوانين الفيزيولوجية النفسية التي تتحكم في تجربة التذوق الفني ولا تبحث من خلال التأملات الفلسفية .(عويضي ا.، مقدمة في علم الفقن والجمال، 1996)

وظلت التفسيرات تتراوح بين ردها إلى العلوم التجريبية أو رفضها بين الشد والجذب رغم ذلك اقتصر البحث في علم الجمال ورده إلى ظروف اجتماعية ونفسية المحيطة ولم تتعرض إلى طبيعة الفن وقيمته وظل علم الجمال فرعا من فروع الفلسفة. (عويضي ا.، مقدمة في علم الفقن والجمال، 1996)

ومع بداية القرن العشرين ظهر أعلام الفن في الفكر الغربي المعاصر ورغم الاختلاف في نظرتهم إلا أنها كونت زخما معرفيا قل نظيره في محاولة لبلورة رؤية في الجمال وفق توجه كل واحد منهم .

فقد سيطر الفيلسوف الايطالي "كروتشه" (1866-1952) على ميدان علم الجمال واتخذت فلسفته متصدرة الأعمال الفنية والجمالية على مدار ثلاثين سنة ظهرت أثارها على الفكر الجمالي المعاصر وقد عرف "كروتشه" الفن بالاقتصار "بأنه تعبير عن حدس أو شعور أو عاطفة و انه فعل للخيال و ليس للفن إن يقدم لنا حقيقة الأشياء" ولا إن يوجهنا إلى أخلاقيات معينة كما لا يرتبط بأي قواعد أو قوانين "و تعد هذه النظرة تبنيا للتيار الحدسي الذي يؤكد (مطر أ.، فلسفة الجمال، 1998) إن للفن قيمة في مقابل للعلم و إن الفن يستطيع الكشف عن حقيقة لا يمكن للفلسفة ولا للعلم إن يكشف عنها (مطر أ.، مدخل الى علم الجمالوفلسفة الفن، 2013) و هذا المذهب المعاصر يجتمع فيه كل من برجسون(1895-1941) و كروتشه و هربرت ريد و هم و إن كان لكل منهم مذهبه في الفن و في التفسير الحدسي و علاقته بالخبرة الفنية إنما يمثلون في الواقع حركة احتجاج على النزعة العقلية التي سادت القرن الثامن عشر .

- أما **الاتجاه الثاني** الذي عرفه الفكر الغربي المعاصر فهو الاتجاه الوجودي وقد ساد هذا التفكير ابتدءا من خمسينيات القرن الماضي، حيث أخذ الفكر الوجودي مع سارتر و مارتن هيدجر يوجه الفلسفة الجمالية في اتجاه جديد (عويضي ا.، مقدمة في علم الفقن والجمال، 1996) الذي ترى فيه كل الفلاسفة الإنساني انه يقدم حالة و جودية لا فكرا

- **أما الاتجاه الثالث** فهو الاتجاه الرمزي و الذي من أهم رواده كسبدر و سوزان لا نجدويرى هؤلاء أن العمل الفني يتميز بأنه رمز و ليس إشارة أو علامة وقد بدأت معالم هذا الاتجاه خلال عشرينيات و ثلاثينيات القرن الماضي (عويضي ا.، مقدمة في علم الفن والجمال، 1996)

فالفن و الأساطير و العلم هي أعراض لعمليات رمزية يفرزها الإنسان شأنها شأن الحلم و الهذيان فكاسبرز يرى أن الخلق الفني أقرب مل يكون إلى عملية الإبداع و التشكل. (عويضي ا.، مقدمة في علم الفن والجمال، 1996) فعندما تكون في مجال الفن فنحن لا بد أن نعتمد على الإدراك الحسي لأننا لا نقوم بعمليات فكرية استدلالية عند تذوقنا للفن، إننا ندرك الشكل وهو رمز يبدعه الفنان. (عويضي ا.، مقدمة في علم الفن والجمال، 1996)

التجربة الجمالية عند سانتيانا:

في تحديده للجمال يبدأ سانتيانا بتفرقة بين القيم الجمالية وقيم الحق و الخير ولكي يتم هذا التحديد يطرح سانتيانا إشكالات التي تبين من خلالها كيف و متى و لماذا يبدو الجمال جميلا ؟

وما هي طبيعة القدرة الكامنة في ذات الإنسانية التي تجعلها على استعداد أو بالإحساس بالجمال وما هي العلاقة بين الإحساس و الجميل كما ينتقد سانتيانا تضيف مجال الفلسفة الجمالية على النقد الفني لأنها (عويضي ا.، مقدمة في علم الفهن والجمال، 1996)، من النقد كما ينتقد سانتيانا توسيع مجال فلسفة الجمال ليشمل كل إدراك حسي آيته في ذلك ليس كل الإدراك حسي هو الإدراك للجمال لأن من الإدراك الحسي ما ليس الإدراك للجمال ويرى أن نطاق الإدراكيين هو

المنهج لإدراك القيم لإجمالية إذ يقول أن طبيعة الجمال كامنة في الإدراك الحسي الذي يصاحبه حكم نقدي و أساسها النشوة ولا تستنـد إلى العقل (عوضي، مقدمة في علم الفن والجمال، 1996).

النشوي الذاتية أساس الحكم الجمالي:

شرط سانتيانا لتحقيق الحكم الجمالي إن تتحقق النشوي عند الإدراك وتكون صادقة تضاف إلي حقيقة الواقعة وتكون هذه الأخيرة بمثابة قيمة ذاتية ولا تستمد من الواقع.

بمعني أنه لابد أن يصحب الخبرة الجمالية شعور باللذة أو ببهجة معنية وهذا ما يعترض عليه فيلسوف الجمال كروتشه والذي يرفض هذا الموقف الموحد بين الجميل واللذة. إذا يعرف سانتيانا الجمال بالاستناد إلي تصوره للذة التي تصاحب الوعي ب هاو الخبرة به وهو يعرف بهذه الخبرة بأنها ليست مجرد خبرة حسبه (مطر أ.، مدخل الى علم الجمالوفلسفة الفن، 2013) رغم انها تخاطب الشعور إلا أنها تصاحب في الآن نفسه رغم لأنها حكم نقدي وفي راية أنت لا تفضل الأشياء ذات قيمة لنا لأننا نفضلها فالإدراك الجمالي هو انعطاف أو ميل من الذات نحو الشيء ، لأنه إحساس بالشيء المائل أمام الشخص المدرك انه مباشر وعملية إخراج ما أمام الشخص المدرك انه مباشر وعملية إخراج ما أحست به الذات وما تحقق بها من نشوة ولذة ومن هنا فإن الإحساس بالجمال عند سانتيانا يحدده بقوله "في الواقع الحي كائنات فعلية لو وصفت كما هي كان الوصف تقريرا عن الحق وهو من شان العلماء، أما الممكن بالعقل فهذا الممكن هو الصور وللون ، وهي مظاهر الجمال الذي تستريح لها النفس البشرية ليس لشيء إلا لأنها تحقق نشوة.فقدرة الإبداع الفني تبدأ عن طريق الإحساسات البصرية والسمعية ولكنها لا تقتصر على التأثير الحسي وحده بل تخاطب الخيال والفكر وبقدر ما تعلوا الأعمال الفنية في القيمة بقدر ما تحيا في صدور الناس لأن العمل الفني متى وجد فإنه لا ينتهي بل يعاد إلى الوجود على مدى الأجيال والحضارات .

فإدراك الواقع هو إدراك للحق و إدراك للجمال هو إدراك للقيمة التي أضفناها نحن إلي الأشياء ولكن لا يكفي إن نقول أن الإدراك الجمالي متميز باللذة الايجابية المباشرة للمشاهد أو السامع ألانه ليس كل إدراك لذيذ هو إدراك جمالي فهناك ما يميز اللذة الجمالية عن غيرها وذلك الآن اللذة الجمالية شائعة لا تتقيد بعضو بخلاف اللذة الجسدية التي قد تكتفي بالعضو ومقيدة به، فالإحساس بالجمال محرر من القيود والحواس ويعبر لصاحبه إلي الشيء الخارجي الجميل (سانتيانا، الاحساس بالجمال، 2001)

إذا سانتيانا تحديدا فاصلا وحاسما يحدث به الإدراك الجمالي فيميز بينه وبين الإدراك العقلي وبينه س الحكم الخلقي فهي مميزات أربعة لابد من توافرها في إدراك الشيء إدراك جمالنا، فهو قيمة تختلف عن الواقع وهو إحساس ايجابي ومباشر وميزته الأساسية هو النشوة الذاتية بدمجها في العناصر الشيء وكأنها جزء منه فتحقق هي الميزات فان الإنسان ينظر إلي الشيء الجميل فيحسب إن النشوة والمتعة واللذة منبثقة من الشيء ذاته وصادرة عنه لأمن نفسه هو الباطنة ومن طبيعة كيانه العضوي (صاليبا، المعجم الفلسفي، 1982) ، إن ميزة الجمال الجوهرية أنه يتركب من دوافع الذات المتباينة وبوحدتها

ويركزها بحيث يعلقها على صورة واحدة وبذلك ينتشر السلام وإن أساس المتعة الجمالية والمدلولات الصوفية للجمال هو في تجربة لحظات الانسجام هذه إلا أن هناك طريقتين للوصول إلى هذا الانسجام أولهما توحيد جميع عناصر المعطات والثانية هي طرد واستبعاد العناصر التي ترفض التوحيد فالوحدة التي تنشأ عن طريق الجمع والشمول هي التي تعطينا الجمال. (سانتيانا، الاحساس بالجمال، 2001)

الإحساس بالجمال

لقد استطع الفيلسوف سانتيان أن يقدم جوابا حول تلك الإشكالية الجمالية والتي تؤكد علي أهمية للذات الإنسانية كونها تمثل الإحساس بالجمال والتذوق كمصدرا للقيمة الجمالية وأهمية الموضوع أي كان في العملية الجمالية وتحقيق الوعي الجمالي (سانتيانا، الاحساس بالجمال، 2001)، من جهة أخري ،يرى سانتيانا أن الجمال لا يوجد مستقلا عن إحساس الإنسان كما انه يختلف عن باقي الإحساسات أخرى (مطر أ.، مدخل الى عالم الجمالوفلسفة الفن، 2013)، واللذات وان خاطبت الشعور لكن ما يميزه هو ترادف إدراك. والحكم نقدي ويضفي عليه طابع التفضيل وهذا ما يجعله يستلزم البعض من الاتفاق وعموم إلا انه ليس حكم مطلق وضروري لكن قد تتساوي أو تلتقي الأذواق علي الشيء الجميل مما يحدث اتفاق بين أحكام الناس علي جمالية الشيء ،يتطرق سانتيانا في كتابه الإحساس بالجمال إلي شرح وتفسير اللذة الجمالية ودوافعها فهو يري إن إحساس المرء بجمال اللوحة يمكن ان تكون دافعا لشرائها (بشيوة، أعلام الفن في الفكر الغربي ، 2013)، لكنها ليست دائما قاعدة يبني عليها. وقد يتمنى المرء امتلاك الأحجار الثمينة و لكنه لا يستطيع شراءها و رغم ذلك تبقى اللذة الجمالية مقرونة على الدوام بحب التملك فكل ما يجب يراد امتلاكه. فالعلاقة بين الإحساس باللذة و الاستمتاع بشيء ما ثم الشعور برغبة الامتلاك متلازمان في حياة الإنسان كما يرى سانتيانا أن الواقع يقر بتنوع الأذواق واختلافها بين الأشخاص وكما تختلف عند الشخص الواحد من مرحلة زمنية إلى أخرى لا يمكن لنا لأن نثبت و جود ذوق عام عند جميع الناس.وفي هذا المجال يرى سانتيانا أنه لا يوجد اتفاق كبير على الأمور الجمالية. ويحتل الإحساس بالجمال مركزا في الحياة أمم بكثير على مما شغلته نظرية الجمال في الفلسفة و الفنون التشكيلية و الشعر وهي أبرز صور تظهر فيها اهتمام الإنسان بالجمال إذ هي لا تستهدف إلا التأمل الصرف، هكذا يرى جورج سانتيانا في كتابه "الإحساس بالجمال" فالإحساس بالجمال أفضل من معرفة الطريقة التي تحس بها (سانتيانا، الاحساس بالجمال، 2001).

فالمرء يتميز بخيال الذوق ،و يحب أحسن و أجود ما في الأشياء حتى يصل إلى مثله الأعلى حيث يتأمل ما في الطبيعة من جمال، فتذوقه و تأمله و خياله حتى وصوله إلى الإيمان بالمثل الأعلى أسمى مما تطمح إليه العلوم من خلال نظرياتها يقول سانتيانا في هذا المجال "فالشعراء و الفلاسفة اللذين يعبرون عن هذه التجربة الجمالية و يشجعونها على أن تحذو حذوهم فتجربة الجمال عن طريق المثل الذي يضربونه لنا ، إنما هم يؤدون للإنسانية وظيفة أسمى مما يؤديه مكتشفو الحقائق التاريخية و هم أجدر منهم بالتبجيل و التقدير" (سانتيانا، الاحساس بالجمال، 2001).

إذا فسانتيانا لا يولي أهمية للبعد النظري في التفكير و لا شييء إلا لأنه يفتقد للذة حسية التي نعثر عليها في الجانب التجريبي للفكر النظري و عليه فالتعبير عن الإحساس بالجمال لا يمكن أن يكون تفسيرا له.أن الجمال كما نحس به شيء لا يمكن وصفه ولا يمكننا أن نقول ما هو وما معناه ولكننا نستطيع أن نبينه عندما نلجأ إلى الذاكرة والتجربة وكيف يختلف طبقا لمدى تكرار حدوث الشكل المعين أو طبقا لما كان بهذا الشكل من ارتباطات في الماضي ،فالإحساس بالجمال نتيجة لهذه الأخيرة عكستها آثار سابقة فالإحساس هو حركة روح تحمل عاطفة وشعور بالفرح والسرور (سانتيانا، الاحساس بالجمال، 2001).

خـاتـمة:

يتناول سانتيانا فلسفته الجمالية مقدما جوابا حول الإشكالية الإحساس بالجمال بدون شروط وفي تواضع تام يفتح من خلالها بابا للحرية مفتاحه الإحساس مؤكدا على أهمية الذات من جهة كونها تمثل الإحساس والتذوق بالجمال وأهمية الموضوع الجمالي أيا كان في التجربة الجمالية ونخلص التجربة الجمالية لسانتيانا في المواقف التالية :

الموقف الأول : فصل الفن عن الحياة : لأن الفن للفن وأن النشاط الفني غير مشروط وأنه نشاط مستقل استقلالا تاما عن شتى مظاهر الحياة لبشرية الأخرى.

الموقف الثاني : يستبعد النشاط الفني من دائرة مظاهر النشاط البشري الجدي،ويرى أن الفن لا يقبل بالرقابة الأخلاقية الصارمة،وينسب للفن وظيفة ترويحية

باعتباره مجرد أداة تسلية في نطاق حياة منظمة حكمها مقولات الفعل . جورج سانتيانا حصر صلة الفن بالأخلاق والحياة في أربعة مواقف : .

الموقف الثالث: ينسب إلى الفن قيمة نسبية بوصفة مرحلة ضرورية من مراحل التقدم الديالكتيكي للنفس البشرية، وإن كان من شأن هذا التقدم أن يفضي إلى تجاوز الحياة الجمالية للانتقال إلى مرحلة أخير قد يمثلها العالم أو الأخلاق أو الدين، وأصبح بهذا الاتجاه يعترفون بقيمة الفن لكنهم يخضعونه لمبدأ تقويمي يحكم عليه سلفا بالبقاء في مستوى أدنى من مستوي تغيره من مظاهر النشاط البشري، ومن ثما فلا ينسبون للفن أي طابع نوعي باعتباره مرحلة مؤقتة من مراحل تطور الوعي البشري .

الموقف الرابع : الموقف أوحد الذي ينصف الفن في نظر سانتيانا الذي يدمج النشاط الجمالي في صميم الحياة العقلية للوجود البشري باعتباره مظهرا من مظاهر سعي الإنسان نحو تحقيق المثل الأعلى، وبذلك لا يكون الفن مستقلا تماما عما عداه من ناشط الحياة الإنسانية،ولا يبق بمعزل عن الحياة الجدية، ولا يظل خاضعا خضوعا مطلقا للأشكال العليا من أشكال الحياة الروحية .

ثم ميز سانتيانا بين القيم الفنية من جهة والقيم الأخلاقية من جهة أخرى فيقرر أن :

القيم الأخلاقية تتصف بسلبية تقتصر مهمتها على اجتناب الألم ومحاربة الشر عالم الأخلاق هو عالم الواجب والإلزام والتكليف والصراع ضد الخطيئة اقترنت الأخلاق بالنشاط الجدي الشاق أما القيم الجمالية فهي إيجابية تمدنا بملذات حقيقية عالم الفن هو عالم الحرية والانطلاق والاستمتاع واللذة الخالصة النقية.

أما القيم الجمالية فتحمل في ذاتها قيمتها ،وما عداها من القيم مجرد وسائط أو أدوات تطلب لغايات أو مقاصد، فهنا كضرورة عملية تخلع على النشاط الأخلاقي كل ماله من قيمة، أما النشاط الفني فقيمته مستقلة تماما عن شتى الظروف العملية، ولهذا لا يتجلى النشاط الفني على حقيقته إلا حينما تختفي مطالب الحياة الملحّة وضرورات التكييف، حينئذ فيوسع الإدراك الحس بممارسة نشاطه في تلقائية وحرية وخصوبة، إذن الخبرة الجمالية تمثل نشاطا متحررا من ضغط الحاجة وقسر الضرورة، ولذا فهي تقترب من النشاط الحر المسمى باللعب.

قائمة المصادروالمراجع:

1.عمار طالبي ، مدخل إلى عالم الفلسفة ، دار القصبة للنشر الجزائر2006 .

2 . عبد الله موسى، مقدمات في فلسفة القيم، دار القدس الجائر 2012 .

3. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج2، ط: دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة: 1982.

4 . مذاهب فلسفية، محمد جواد مغنية، ط: دار ومكتبة الهلال و دار الجواد، بيروت، لبنان.

5 . دليل أكسفورد للفلسفة، تحرير: تد هوندرتش، ترجمة: نجيب الحصادي، ط: المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا.

6 . الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون، ط: دار القلم، بيروت، لبنان

7 . كريم محمد بشيوة ، أعلام الفن في الفكر الغربي مجلة الجامعة ، المجلة 3 ، طرابلس 2013.

8. إنصاف الربضي ، علم الجمال بين الفلسفة و الإبداع ، دار الفكر عمان1990.

9. أمير حلمي مطر، فلسفة الجمال، أعلامها و مذاهبها دار قباء للطبع و النشر القاهرة1998.

10 . الشيخ كامل محمد محمد عويضي ،مقدمة في علم الفن والجمال،دار الكتب العالمية لبنان1996.

11 . أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال، دار المعارف ،القاهرة.

12. جورج سانتيا الإحساس بالجمال ، ت محمد مصطفى بدوي مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر2001.

13. امير حلمي مطر، مدخل الي عالم الجمال وفلسفة الفن، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة 2013.

14. كريم محمد بشيوه إعلام الفن في الفكر العربي المعاصر، مجلة الجامعة العدد05المجلة 03 طرابلس 2013.